جامعة تكريت. كلية التربية للبنات

قسم علم النفس التربوي

المرحلة الأولى

المادة :اسس تربية

عنوان المحاضرة : التربية في حضارة وادي الرافدين

م.م. حنان مهيدي صالح

hanan.saleh@st.tu.edu.iq

التربية في حضارة وادي الرافدين:-

تمتد جذور المعرفة والتعليم في حضارة وادي الرافدين الى فجر التاريخ اذ بدأ التدوين لاول مرة في تاريخ البشرية في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد ، ولعب العراق دورا ً بارزا ً في نقل مشعل الحضارة الى خارج رقعته الجغرافية عبر المراكز الحضارية في سومر واكد التي ظلت ثقافتها مزدهرة على مدى ما يقرب من ثلاثة الاف سنة ، وقد دل مسح النصوص التي يمكن ارجاعها للالف الثالث قبل الميلاد الى وجود مدارس رسمية في وادي الرافدين في فترة تسبق ظهور الازمنة البابلية القديمة . كما ظهرت في عصر حمورابي مدارس لنسخ الكتب وتعليم الناشئة . وقد اسست اول مدرسة في العالم في بلاد ما بين النهرين وغدا التعليم نظاميا ً في بلاد سومر بعد ان ازدادت المدارس زيادة ملحوظة .

وفي اوائل القرن العشرين تم اكتشاف عدد من الالواح المدرسية كانت مادتها تتحدث عن الادارة والا قتصاد ، كما تظهر الالواح ان اعداد من مارسوا الكتابة كانوا بالالاف . وقد مدتنا الاكتشافات الآثارية بما يتعلق بالمدرسة في بابل القديمة ، اذ بينت ان فيها غرفا ً تحتل وسطها مصطبات واطئة من الحجر تسع الواحدة منها لاثنين وثلاثة واربعة طلاب ، وكانت تنشر مجموعة من الالواح لممارسة الكتابة .

وقد عرف العراقيون القدماء علوم الجغرافيا والرياضيات والحيوان والنبات واللاهوت والتعدين وعلم اللغة فضلا ً عن الآداب .

البابليون هم شعب سكنوا في جنوب حوض الرافدين ، بينما الاشوريون سكنوا في الجزء العلوي منه . كانوا يميلون الى التدين ، اما عن المدارس فقد عرفوها وكانت تمثل لديهم ضرورة لانها توفر الرفاهية ل لافراد ، كذلك عرفوا جدول الضرب والنظام العشري في العد ، ونظام تعليم القراءة عن طريق تجميع مقاطع الكلمات ، كما عرفوا الفلك والرياضيات ، واوجدوا نظام الاسبوع المؤلف من سبعة ايام ، و التشريع والنظام واشهرها شريعة حمورابي ، ووضعوا تصنيفات مهمة للمملكتين النباتية والحيوانية .

اما نظام التعليم فقد كان صعبا ً اذ كان على الطالب ان يواظب على دروسه يوميا ً من الشروق وحتى المغيب ، وسنين الدراسة كانت طويلة فالطالب كان عليه ان يلازم المدرسة منذ صباه الى ان يصبح شابا ً ، وكان مدير المدرسة يدعى(اب المدرسة) وكان يلقب بالاستاذ احتراما ً له وكان ينظر اليه بعين الاجلال والوقار ، اما المعلم فكان يتمتع بمركز اجتماعي مرموق فهو اعلى من الكاهن و الضباط والوالي ويلقب بالعلا ّمة او الاستاذ ،اما التلاميذ فكانوا يسمون انفسهم(ابناء المدرسة) وكانوا يتمتعون ايضا ً بمكانة محترمة في المجتمع .

توفرت لدى السومريين والبابليين والآشوريين المواصفات المطلوبة لذهنية ذات توجه علمي بشكل حقيقي . امتازوا قبل كل شيء بتطلعهم الشديد لضروب المعرفة : جمع الارقام القديمة ، تأسيس متاحف للآثار ، جلب انواع نادرة من النباتات والحيوانات غير المعروفة من مناطق بعيدة . كما اتصفوا ب الصبر والولع بالتفاصيل ، وامتلكوا قوة ملاحظة نفاذة ، ودرسوا الطبيعة بحماس مسجلين وموحدين كمية كبيرة من المعلومات الخالصة اكثر من توخي اغراضها العلمية . وفي اقراره بفضل حضارة وادي الرافدين على الحضارة الاغريقية والحضارة المعاصرة ، يقول جورج رو " بالنسبة لنا نحن ابناء القرن العشرين يجدر بنا ان نعترف بديننا لسكان وادي الرافدين القدماء . وفي الوقت الذي نقدم فيه على كبح جماح الذرة ونعد انفسنا لاكتشاف النجوم ، فان من العدل ان نتذكر بأننا ندين للبابليين بالمبادئ الا ساسية لرياضياتنا وفلكنا بضمنها نظامنا في الارقام ذات القيمة المرتبية والنظام الستيني الذي ما نزال نقسم بواسطته دائرتنا وساعاتنا ... هناك ايضا ً الكثير من الاصول العراقية القديمة التي يمكن تحريها في الكتاب المقدس ... وفي الواقع فان الاساتذة الكلاسيكيين الذين وقفوا مبهورين لفترة طويلة امام ما تدعى (المعجزة الاغريقية) بدءوا الان يدركون كامل حجم الزخم الهائل للتأثيرات الشرقية على النواحي المولدة من الفكر والفن والاخلاق الاغريقية . وكان الشرق معتمدا ً بدرجة كبيرة على حضارة وادي الرافدين طوال الجزء الاكبر من الحقبة التاريخية ما قبل الكلاسيكية " . ورغم تسربله ب الخرافات ، تميز طب وادي الرافدين ببعض سمات العلم الايجابي " وهو العلم الذي انتقل الى الاغريق وعبّد الطريق مع الطب المصري للقيام بالاصلاح الابقراطي العظيم للطب في القرن الخامس ق. م " .انصبت جهود سكان وادي الرافدين في مجال الكيمياء على تطبيقاته العملية ، وعرفوا المعادن

ومعالجة المواد المعدنية وتنقيتها ، ويميزوا بمهارة ودقة تصنيعها وتشكيل السبائك غير المألوفة اما في مجال التاريخ فلم يفطن القوم لتحديد نقطة تاريخية لكتابة التاريخ على اساسها كما هو قائم حاليا ً بالنسبة للتاريخ المسيحي (الميلادي) والتاريخ الاسلامي (الهجري) ، بل كانوا يؤرخون السنين حسب الحوادث المهمة ، ومن ثم ادخل الكشيون (العصر البابلي الوسيط) طريقة جديدة تستند الى تسلسل سني حكم الملوك . واخيرا ً ، ابدع اهل وادي الرافدين في مجال الفنون والعمارة ، لكونها احد الحقول الاكثر قربا ً لخدمة الالهة – المعبد والقصر – لذلك ترك فن وادي الرافدين اثره حتى على وادي النيل بالاضافة الى اليونان ، كما هو واضح في العمود الايوني الذي يرجع اصله الى بلاد سومر ، اذ كان رمزا ً دينيا ً في العصر الشبيه بالكتابي . وترجع اصول المعرفة بـ" شجرة الحياة " وانتشار تسميتها الى الفن السومري ، فقد جاء ذكرها في سفر التكوين من التوارة عند الحديث عن خطيئة ادم وحواء في جنة عدن .

الكتابة والمدرسة :-

تشكل الكتابة باعتبارها اداة التدوين ، الانجاز الاعظم لحضارة وادي الرافدين . تحقق لاول مرة في تاريخ البشرية قبل اكثر من خمسة الاف سنة بدءا ً بالكتابة الصورية (العصر الشبيه بالكتابي) ولغاية الكتابة المسمارية (العصر التاريخي) ولتستمر مستخدمة حتى آخر ادوار هذه الحضارة . عُثر على نص مسماري معروض في متحف بغداد يعود الى سنة 50 ق. م . واكتشفت اقدم وثيقة تتضمن كتابة صورية في اوروك (الوركاء) تعود الى نهاية الالف الرابع ق . م ، قبل ان تتطور الى الكتابة المسمارية في حدود منتصف الالفية الثالثة ق. م . وهكذا كانت للحضارة السومرية الفضل في نقل البشريةمن ظلام (اميتها) التي استغرقت اكثر من 99 % من عمر الانسان على هذه الارض والممتدة بحدود 2 – 3 مليون سنة . وكان المنهج الدراسي طويلا ً وصارما ً ، يستغرق سنوات طويلة ويتطلب تفرغا ً كام لا ً ، ويعتمد الحفظ اساسا ً ، خاصة في المرحلة المبكرة . وكان اول شيء يترتب على التلميذ هو ان يصبح حاذقا ً في اللغة السومرية . ويتمرن على استنساخ واستظهار قوائم طويلة لاسماء ومصطلحات . واذا احرز تطورا ً وافيا ً في اساسيات حرفته امكنه مواصلة دراسته في فرع من فروع العلوم المختلفة . والجدير بالذكر ان العلاقات الشخصية كانت تؤثر في موقع الطالب . تذكر وثيقة مدونة حوالي 2000 ق. م بأن نتائج احد الطلاب كانت سيئة وتعرض للضرب كثيرا ً لسوء ادائه الى حدود اصبح كارها ً للمدرسة . تغيرت الحالة عندما بادر والده الغني دعوة مدير المدرسة لمنزله . وبعد تزيينه من قبل الخدم وتقديم الطعام له وثوب جديد وشيء من الراتب الاضافي ووضع خاتما ً في اصبعه ، تغيرت العلاقة بين المدرسين وبين التلميذ الغني .. ! ولعل جميع فئات الكهنة تلقوا تدريبهم الاول بصفة كتبة على الرغم من ان المؤهلات الخاصة بالكهنوتية اشد صرامة من تدريس اللغة وتعلم الكتابة ، ولم تكن ابواب الكهنوت مفتوحة للجميع . فمثلا ً اشترط بالنسبة للعرافين ان يكونوا من ذوي المولد النبيل والبنية السليمة . وكان مطلوبا ً من أي شخص في أي وظيفة في المعبد لغاية الالف الاول ق. م ان يكون سليم البدن . ابتكر السومريون مع بدء الكتابة رموزا ً للارقام ونظامين للعد احدهما النظام العشري والاخر النظام الستيني . " ان للسومريين فضل كبير علينا في تقسيم اليوم الذي اعتبروا شروق الشمس بداية له ، فقسموه الى اثني عشر ضعفا ً للساعة ، أي اربعة وعشرون ساعة ، ثم قسموا كل (نصف ساعة) الى ثلاثين جزءا ً ... " وقد اقترح الفلكي الاغريقي (كديناس) اعتبار بداية اليوم من منتصف الليل لتحمله خطأ اقل في القياس الذي يسببه الحساب بشروق الشمس . وكان لنظام توزيع الدائرة الى 360 درجة واليوم الى 24 ساعة ان نتجت في النهاية منطقة البروج التي وسعت مجال علم التنجيم . اما الصفر فلم يُعرف الا في عهد الاحتلال السلجوقي في القرن السادس ق. م . ونضج استعماله على ايدي الرياضيين العرب .

الرياضيات والفلك :-

عرف رياضيو وادي الرافدين العمليات الحسابية الاربعة ، وتركوا جداول للضرب ومربعات الاعداد ومكعباتها وجداول لوغارتمات بعض الاعداد . وكانت الطرق البابلية جبرية في اساسها ، واستطاعوا منذ الحقبة البابلية القديمة حساب اعداد كالجذور التربيعية والتكعيبية وحل المعادلات التربيعية (الدرجة الثانية) . كما اتسمت الرياضيات البابلية بسمتين : النظام الستيني ، واستخدام نظام القيمة المرتبية ،

وكان لهما فضل جم في حل العمليات الحسابية . كذلك تضمنت الوثائق المكتشفة في مدينة اشنونا (تل اسمر) نصا " لنظرية هندسية تشبه (نظرية فيثاغورس) .

انطلقت حاجة حضارة وادي الرافدين لدراسة حركة الاجرام السماوية من عاملين مترابطين : اولهما ديني يتعلق بعلم ما وراء الطبيعة ، وثانيهما عملي لخدمة الدين ، يتمثل بعلم الكرونولوجيا (تقسيم الزمن الى فترات وتعيين تواريخ الاحداث وفق تسلسلها الزمني) فطبقا " للعقيدة السائدة بان الا حداث التي تقع في الارض هي انعكاس لاحداث تحققت في السماء ، يمكن التعرف على احوال الآلهة عن طريق دراسة الكواكب والنجوم (علاوة على المظاهر الطبيعية – الكونية الاخرى) . وهذه المعرفة توفر امكانية التنبوء بالمستقبل الخاص بالارض من خلال معرفة رغبات الآلهة وتنفيذها ، ومن ثم تلطيف عقابها للبشر . " من هنا جاءت روحية الشكوكية المأسوية التي تحددت بها اسس فلسفة ارض وادي الرافدين ولهذا كان التنجيم هو اساس علم الفلك . " وعلى ذلك ، اعتبر علم الفلك وسيلة وليست غاية ، وفائدته الرئيسة هي ان يستخدم كدليل لاهداف علم النجوم (التنجيم) وتلبية رغبات الآلهة . وفي العام 1100 ق. م . تبني الآشوريون هذا العلم واخذوا التقويم عن البابليين . وكان هذا التقويم القمري – الشمسي يتألف من اثني عشر شهرا " وكل شهر من ثلاثين يوما " . ولان هذه الدورة تتألف من 360 يوما " ، عليه اضيف شهر كبيس في فترات منتظمة . ومن الناحية العملية اثبت هذا التقويم خلوه من عيوب مشكوك فيها . ونجح الفلكيون (الكهنة) تقرير وقت بدء الشهر القمري الجديد وحساب التاريخ المضبوط وابلاغه للملك الذي كان يقوم بنفسه باعلان بدء الشهر . وكانت اجهزة القياس التي يستخدمونها بسيطة لا تتجاوز الساعة المائية water . اما فيما يخص المكتبات فقد كانت منتشرة في كل المدن الاقليمية تقريبا " وعلى مسافة منتظمة لكل مكتبة وكانت توجد مدرسة للنسخ ملحقة بها وقد تم العثور على اكبر مجموعة من الالواح والتي كانت تتمثل بالمكتبة الخاصة بآشور بانيبال في نينوى اذ عثر على (2500) لوحة سليمة ومحكمة في مجموعته .